الفصل السابع

فلسطين اليوم: الثقافة السياسية والسياسة الخارجية

يبين الفهم الواضح للصهيونية غير اليهودية وتاريخها عمق التأييد الغربى للدولة الصهيونية فى فلسطين، كما أنه يبطل الأسطورة المسلم بها، وهى أن الفضل فى التأييد الغربى لإسرائيل يعود فى معظمه إلى الأقلية اليهودية المؤثرة فى الأنظمة السياسية الغربية، وبخاصة الولاياتُ المتحدة، ويبين أنه ليست سياسة الضغط الصهيونى ولا اللوبى الصهيونى أو الأصوات اليهودية هى سبب التأييد غير اليهودى الكبير الذى استطاعت الصهيونية أن تحشده فى الغرب.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تضم إلى صفوفها مؤيدين من بين غير اليهود فى العالم الغربى قبل أن تجتذب تأييدًا يهوديًا واسعًا نتيجة للحرب العالمية الثانية. والانسجام السياسى بين الصهيونية والثقافة الغربية أقدم عهدًا من ذلك القائم بين الصهيونية وأنصارها الطبيعيين، وهم اليهودية ويهود العالم.

لا يرى غالبية غير اليهود فى الغرب أن الصهيونية حركة عنصرية، بل قوة معنوية. كان ينظر لها أولاً كعقيدة دينية ـ ذات جذور عميقة فى تاريخ الحضارة الغربية. ولقد قام غير اليهود بنقل ونشر أفكارها الرئيسة ومبادئها الأساسية تحت أقنعة دينية أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو إستراتيجية متنوعة.

والصهيونية غير اليهودية، لدى تطبيقها على الصراع الفلسطينى الآن، ما تزال عنصرًا رئيسًا فى عملية صنع قرار السياسة الخارجية للأمم الغربية، وبخاصة الولاياتُ المتحدة وأوروبا الغربية.

وحتى نختم دراستنا سنركز على العلاقة بين الثقافة السياسية، وتشكيل السياسة الخارجية الغربية بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى.

تشكيل الصورة السياسية

الثقافة السياسية هى نمط المواقف الفردية من السياسة بين أعضاء نظام سياسى معين. وعلى ذلك فالثقافة السياسية تشمل الإنجاز الفعلى لهذا النظام السياسى، والميدان الذاتى الذى يعطى الأفعال السياسية معنى. وتتكون الثقافة السياسية لأمة ما من المواقف والمعتقدات والقيم والمواهب التى يشترك فيها كل السكان، أو قطاعات مستقلة منهم، سواء أكانوا مجموعات إقليمية أم طبقات اجتماعية، أم مجموعات عرقية[١].

وهذه المواقف التى تتخذ فى الغالب شكل قوالب ثابتة، سواء أكانت مؤيدة أم غير مؤيدة، هى نتاج الجو السياسى السائد تاريخيًا، وهى ماثلة فى العادات القومية والمواقف الثابتة تجاه الشعوب الأخرى والعالم الخارجى بشكل عام. وقد أنتج هذا التراث الآراء المتأصلة والنزعات التى تشكل مواقف الناس وتكون وجهات نظر صانعى القرارات السياسيين.

وقد أكد العلماء السياسيون الحديثون أن الثقافة السياسية وصنع السياسة الخارجية مكملان لبعضهما؛ ذلك أن السياسة الخارجية تعبر عن أنماط سلوكية أصبحت ثابتة بمرور السنوات، وأنماط السلوك القديمة عبر التاريخ هى التى تحدد وتوجه السلوك الحالى.

لقد حددنا فى دراستنا للصهيونية غير اليهودية مجموعة من الأفكار التى أصبحت أساس فرضيات الصهيونية السياسية الحديثة، وتتبعنا أصلها منذ بدايات التاريخ الأوروبى الحديث فى القرن السادس عشر. لقد طور غير اليهود فكرة أن اليهود يشكلون أمة مستقلة، وأنهم كانوا أمة فيما مضى، وسيكونون أمة من جديد بالمعنى الحديث للكلمة، وكان ذلك منسجمًا مع الفكرة البروتستانتية عن الكنيسة القومية. وعندما حلت عقيدة الاختيار أو الاصطفاء البروتستانتية محل عقيدة الخلاص الكاثوليكية، أصبحت اليهودية كدين قومى «للشعب اليهودى» أمرًا مقبولاً.

ووفقًا للتفسير البروتستانتى للتوراة، صارت فلسطين وطنًا لكل اليهود. وهكذا تطورت الأسطورة القائلة: إن اليهود خارج فلسطين غرباء مبعدون عن وطنهم القومى. ومما ساعد على تطوير أسطورة بعث إسرائيل مذهب العصمة الحرفية للكتاب

المقدس، وهو أحد ثمار الفلسفة البروتستانتية، حيث رسخ فى الأذهان أن هناك علاقة قومية بين أرض فلسطين والشعب اليهودى باعتباره السلالة المباشرة لقبائل إسرائيل العبرانية القديمة. وكان الفكر البروتستانتى هو الذى رسخ التواصل المستمر بين الأرض والشعب.

لقد كانت فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين كأمة فكرة شائعة خلال قرون التاريخ الأوروبى الحديث، وكانت ماثلة باستمرار فى الثقافة الغربية الحديثة: فى المجال الروحى أولاً، ثم فى المجال السياسى الدنيوى بعد ذلك. وكانت هذه الفكرة رئيسة فى بعض الفترات وهامشية فى فترات أخرى، ولكنها كانت موجودة دائمًا وتعزز الموقف الفكرى السائد الذى يربط بين اليهود وفلسطين. وفى عام ١٩٣٩م، تحدث القس چون چى ديجل، عضو البرلمان عن ولاية ميتشيجان، إلى الكثير من الصهيونيين غير اليهود الذين كانت صهيونيتهم مبنية على نشأتهم الثقافية قائلاً:

> **لقد تعلمت دائمًا أن أعتقد أن فلسطين هى وطن الأجداد التاريخى الذى وهبه الله لليهود، وتعلمت كذلك أن الله قضى بأن يعود يهود العالم إلى وطنهم يومًا ما[٢].**

وكانت «الأسطورة العظيمة» عن فلسطين قد أصبحت جزءًا أساسيًا من الثقافة الغربية قبل أن يقرها تيودور هرتزل بزمن بعيد. لقد عاشت الأسطورة القائلة: «إن فلسطين وطن الأجداد لكل اليهود» فى خيال معظم المسيحيين فى أواخر القرن التاسع عشر، وما تزال واضحة حتى اليوم فى تأييد الغرب الجلى لإسرائيل.

وينظر الناس للواقع من خلال مجموعة من المفاهيم التى قد تتفق، أو لا تتفق، مع الحقيقة التجريبية. وينطبق هذا كذلك على السياسة الخارجية، فمجموعة المفاهيم هذه هى نتاج ثقافة سياسية معينة، وهى تنتقل من جيل إلى آخر من خلال عملية التكيف مع المجتمع، والصورة الصهيونية التى تطورت فى الغرب على مدى أربعة قرون، والتى تُعْزَى إليها الآن المواقف والسياسات الغربية المؤيدة لإسرائيل معقدة جدًا، ولكن من الممكن اعتبارها حصيلة المفاهيم التالية: المفهوم التوراتى، ومفهوم التماثل الذاتى (بين المهاجرين الأوروبيين إلى أمريكا والهنود الحمر من ناحية، واليهود والعرب فى فلسطين من ناحية أخرى)، والمفهوم الأخلاقى.

المفهوم التوراتى

قليل هم أولئك الذين تتوافر لديهم معرفة دقيقة بالتاريخ والقضايا التى تشكل أساس الصراع العربى الإسرائيلى، ولكن معظم المسيحيين تعرضوا فى حياتهم فى وقت أو آخر لقصص توراتية تتناول الإسرائيليات القديمة. ولذا فإن إسرائيل الحديثة تصبح امتداداً لإسرائيل التوراتية، وهذا هو المفهوم الذى استغلته الحركة الصهيونية بشكل فعّال لأهدافها الخاصة.

وإذا ما ربطنا المشهد المسرحى الحديث بالماضى التوراتى، فإن سيناريو الماضى يغدو قابلاً للتطبيق العملى، **ويصبح الصراع العربى الإسرائيلى امتداداً للصراع التوراتى بين داود وجالوت؛ حيث تمثل إسرائيل دور داود المسكين «إسرائيل الصغيرة التى تظهر على المسرح فى دور داود الصغير فى العهد القديم، عاقبت جالوت العربى بثقافتها الهوائية(*) عام ١٩٦٧م»**[٣] لم يصدر هذا التشبيه التوراتى عن واعظ من المؤمنين بمذهب العصمة الحرفية ولكنه كان بقلم محرر «لوس أنجلوس هيرالد إكزامنر» المعروفة.

وقد عبر السناتور چوزيف مونتويا من نيومكسيكو عن هذه المشاعر نفسها فى قاعة البرلمان: «من الصعب التصديق بأن داود (إسرائيل) هو المعتدى الحقيقى على جالوت»[٤] وليس هذا السناتور من أتباع مذهب العصمة الحرفية، كما أنه لم يكن يأبه للأصوات اليهودية؛ لأنه لا يكاد يكون هناك يهود فى ولايته، ولكنه كالكثير من رفاقه فى مجلس النواب، كان ينظر للصراع العربى الإسرائيلى من خلال الصورة التوراتية. وهذا ليس سوى شاهد آخر على الارتباط العضوى بين التوراة والثقافة الأمريكية.

> **التوراة فى المعتقدات الأمريكية هى مصدر الإيمان. وقوة تماسك فى الطموح القومى، فلغتها وخيالاتها وتوجيهاتها الأخلاقية وكفاحها البشرى تشكل جزءًا لا يتجزأ من الشخصية الأمريكية. والأنبياء والوثنيون والملوك والعامة الذين عاشوا فى إسرائيل القديمة منذ قرون عديدة، نهضوا للقيام بأدوار معاصرة فى التاريخ الأمريكى فى أيامه المشرقة والعصيبة على حد سواء[٥].**

(*) يشبه محرر الجريدة سلاح الطيران الإسرائيلى بمقلاع داود الذى صرع به جالوت الفلسطينى.

صورة للتماثل الذاتى

أدت الصورة التوراتية كقوة متماسكة فى الثقافة الغربية إلى الصورة الثانية بشكل غير مباشر، وهى صورة التماثل الذاتى مع الصهيونيين. فالإسرائيليون فى نظر الأمريكيين قوم مجدون ورواد ومغامرون ـ وهى الصفات التى ميزت الرعيل الأول من الرواد والمستوطنين الأمريكيين. وتبعًا لهذه الصورة المألوفة فإن الاستيطان اليهودى فى فلسطين مشابه للمستوطنات المسيحية الأولى التى أصبحت تشكل الولايات المتحدة أو جنوب إفريقيا، وقد عبر القس البروتستانتى چون هاينز عن هذه الصورة خلال زيارة قام بها إلى فلسطين عام ١٩٢٩م:

> **عندما قابلت وتحدثت مع فلاّحى الأرض هؤلاء لم أكن أفكر إلا فى المستوطنين الإنجليز الأوائل الذين قدموا إلى شواطئ ماساشوسيتس القاحلة، واستطاعوا أن يرسوا قواعد جمهوريتنا الأمريكية الثابتة وسط برد الشتاء فى أرض لم تفلح، وبين السكان المواطنين المناوئين لهم. لهذا لم أفاجأ حين قرأت «الدومينيون السابعة» لجوزيا ودجود، ووجدت أن هذا البريطانى الصهيونى غير اليهودى يصف هؤلاء الرواد اليهود بأنهم «الآباء الحجاج لفلسطين». وهنا نرى أن المواطنين العرب الذين لا يقلون عنادًا ووحشية عن الهنود الأمريكيين الحمر لا يمكن إبعادهم عن مسرح الأحداث**[٦].

وكانت الفكرة نفسها تدور فى ذهن الرئيس ترومان حين لخص سياسته تجاه إسرائيل فى ٢٨ أكتوبر عام ١٩٤٨م، وتعهد بتقديم الدعم الأمريكى من أجل دولة حرة قوية «إن ما نحتاجه الآن هو مساعدة الشعب فى إسرائيل، ولقد أثبتوا أنهم من خيرة الرواد. لقد خلقوا من الصحراء القاحلة دولة حديثة على أعلى مستوى من الثقافة الغربية»[٧]. وقد ضرب الرئيس كارتر على الوتر نفسه فى حديث ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلى فى مارس عام ١٩٧٩م:

> **لقد آمن وأظهر سبعة من رؤساء الجمهورية أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال عقيدة فريدة. وهى علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه.**

لقد أقام الرواد وأقوام تجمعوا فى كلا الشعبين من دول شتى؛ إسرائيل والولايات المتحدة. . . إننا نتقاسم معًا ميراث التوراة. . .[٨].

وعلى مستوى موسع، فإن صورة التماثل الشخصى الذاتية هذه مع الإسرائيليين تشمل كل إسرائيل التى هى «نتاج المغامرة الحرة»[٩] و «معقل الديمقراطية»[١٠] و«واحة الحرية وسط أنظمة فاشية»[١١]، أو الحصن ضد الشيوعية والقومية العربية المتطرفة، وينظر الرأى العام الغربى إلى صراع الشرق الأوسط على أنه جزء من الصراع الأكبر والأهم بين الغرب الديمقراطى والعالم الشيوعى.

الصورة الأخلاقية

يقودنا هذا إلى صورة المصالح المتبادلة بين إسرائيل والغرب، والتى تقوم على روابط الثقافة والعاطفة الأخلاقية. والتأييد الأمريكى الحالى لإسرائيل فى الولايات المتحدة هو فى الغالب نتيجة للمصلحة القومية الشخصية. وقد دعا السناتور فولبرايت ـ المعروف بأنه صديق للصهيونية ـ الولايات المتحدة لتقديم ضمانات لأمن إسرائيل على أساس أن المصالح الأمريكية مرتبطة مع إسرائيل «بروابط الثقافة والمشاعر»[١٢]. وتتجسد علاقة أمريكا بإسرائيل فى وحدة قيمها الأساسية أو كما جاء على لسان السناتور دول من كنساس:

ليست الصداقة الأمريكية الإسرائيلية حدثًا عارضًا، إنها نتاج قيمنا المشتركة فكلانا ديمقراطى. وكلانا دولة رائدة. لقد فتح كلانا أبوابه للمظلومين وأظهر كلانا شغفًا بالحرية وسرنا للحرب لحمايتها[١٣].

وغالبية الأمريكيين الآن سواء أكانوا من صناع القرار السياسى أم لم يكونوا، يجدون محاكاة لصورتهم فى وجود إسرائيل. إنهم يعتبرون قضية إسرائيل مسألة أخلاقية ودينية تحظى باهتمام شخصى عميق، وهم يعتقدون أن إسرائيل ينبغى ألاّ تحيا فحسب، بل تحيا كدولة يهودية. والرئيس الأمريكى السابق چيمى كارتر واحد من ممثلى هذا الاتجاه فى المواقف الأمريكية المعاصرة تجاه الصهيونية وإسرائيل. ولقد كانت خلفيته البروتستانتية وآراؤه الدينية مرتبطة بسياسته تجاه الشرق الأوسط، وكان يرى، كرئيس، أن دولة إسرائيل هى أولاً وقبل كل شىء «**عودة إلى الأرض التوراتية التى**

أخرج منها اليهود منذ مئات السنين . . . إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهره»[١٤]، ونتيجة لذلك كانت سياسة كارتر تجاه إسرائيل متأثرة بفكرته عن دولة إسرائيل، وهى أنها الأرض التى وعد الله اليهود بها، اعترف بأن عليه «التزامًا كاملاً ومطلقًا نحوها كإنسان وكأمريكى وكشخص متدين»[١٥]؛ ولذا فقد كانت فكرته عن السلام فى الشرق الأوسط «تدور حول الوجود الدائم، والآمن لدولة إسرائيل اليهودية»[١٦].

الصهيونية البرلمانية و«العامل اليهودى»

الكونجرس هو حصن الصهيونية، ورائد المشاعر الموالية لإسرائيل فى الولايات المتحدة. لقد كان هناك - دائمًا - تأييد نيابى ثابت لدولة يهودية فى فلسطين منذ صدور القرار النيابى المشترك عام ١٩٢٢م، والذى يؤيد وعد بلفور، وأن عدد مؤيدى إسرائيل فى الكونجرس يربو على ٧٠ سناتور يشكلون أغلبية واضحة فى البرلمان، ومثل هذا التأييد واضح فى التصويت على القرارات الخاصة بالشرق الأوسط، وفى الأنشطة المستقلة كالعرائض والرسائل الموجهة للسلطة التنفيذية الأمريكية من أجل التأثير على السياسة.

ومحللو السياسة الأمريكية الخارجية على قناعة بأن العلاقة الإسرائيلية الأمريكية الوثيقة متأثرة بشكل كبير بكونجرس الولايات المتحدة، ويميلون إلى إلقاء اللائمة على الكونجرس بسبب السياسة الأمريكية الموالية لإسرائيل. وبينما يدرك هؤلاء أن دور الكونجرس فى السياسة الخارجية لا يعدو كونه دورًا هامشيًا، فإنهم يؤكدون أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تعتبر استثناءً من القاعدة بهذا الصدد.

لقد درس وحلل الكثير من العلماء العوامل المختلفة التى تدفع الكونجرس لتأييد إسرائيل[١٧]، كما حددوا المتغيرات الحزبية وغير الحزبية التى تفسر التصويت على قضايا إسرائيل والصراع العربى الإسرائيلى، ويرى هؤلاء أن أهم العوامل هى «الأصوات اليهودية» والدعم المالى اليهودى لأعضاء مجلسى النواب والشيوخ، ووجود لوبى يهودى فعّال فى الكابيتول. هذا بالإضافة إلى بعض العوامل الأيديولوچية الأخرى. وقد كتب الكثير عن كل واحد من هذه العوامل.

ويتفق معظم المحللين فى استنتاجهم أنه فى الوقت الذى يبدو أن لكل العوامل أساسًا واقعيًا على الأقل، فليس هناك سبب واحد يبرر تأييد الكونجرس الشديد لإسرائيل. وحتى التفسير الذى يستند إلى أسباب عدة لا يبدو مقنعًا «إن مشاعر القطاعات الرئيسة غير اليهودية الموالية لإسرائيل قد تكون ذات أهمية فى تحديد تأييد الكونجرس لإسرائيل تمامًا، كالقوة الانتخابية والمالية للمجتمع اليهودى فى الولايات المتحدة»[١٨] ويشير روبرت هـ. ترايس بهذه الملاحظات إلى أهمية تغلغل الفكر الصهيونى غير اليهودى فى الثقافة الأمريكية:

علينا أن نعى أولاً الأسباب المتعددة التى تدعو إلى تعاطف هذه القطاعات المختلفة من المجتمع الأمريكى مع دولة إسرائيل إذا ما أردنا أن نفهم تأييد الكونجرس لإسرائيل؛ لأنه بمقدار مايكون أعضاء الكونجرس الوسائط الأساسية التى تترك القوى المحلية من خلالها أثرها فى السياسة الخارجية، فعلينا أن نتوقع من هؤلاء أن يكونوا حساسين تجاه اتجاهات الرأى العام العميقة والعريضة[١٩].

إن اتجاهات أعضاء الكونجرس الصهيونية هى مجرد انعكاس لاتجاهات الرأى العام الأمريكى، واللوبى الصهيونى لا يخلق مواقف مؤيدة لإسرائيل، ولكنه يعمل على تقوية المواقف والاتجاهات القائمة، خاصة وأن وجهة النظر المعاكسة ليست ممثلة بشكل فعّال.

والتأكيد على أن الكونجرس ووسائل الإعلام والجامعات جميعًا خاضعة لليهود أو متأثرة بسيطرتهم، ليس تفسيراً خاطئًا للتأييد غير اليهودى للصهيونية فحسب، ولكنه يخفى فى الواقع القوة الحقيقية للصهيونية، وهى اندماجها فى الثقافة الغربية والأمريكية. ويعتبر هارون ولدافسكى، العالم السياسى اليهودى، واحدًا من القلائل الذين ينظرون إلى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى إطار الصهيونية:

إن إسرائيل من الغرب ومن صنعه وله، سواء أحب الناس ذلك أم لم يحبوه. وإسرائيل تحس وتشم وتبدو كبلد غربى، وهى ليست كفيتنام... إنها ليست جزءًا من المحيط الخارجى للغرب ولكنه لبه. إن إسرائيل هى نحن، سواء أكان ذلك للأفضل أم للأسوأ.

وحين تنصرف الولايات المتحدة وكأن ليس لها مصلحة أمريكية قومية فى إسرائيل، فهى بذلك إنما تتخلى عن هويتها الدينية والأخلاقية والسياسية والثقافية[٢٠].

لم تنتج أصالة الالتزام الأمريكى بإسرائيل من التأثير اليهودى، بل من طبيعة المجتمع الأمريكى، كما تطور خلال القرون الماضية، ويشير سجل الصهيونية غير اليهودية إلى أن ما يسمى «المشاعر المسيحية الصهيونية» هى مشاعر صادقة وطبيعية بالنسبة للثقافة الأمريكية. وليس اهتمام غير اليهود بفلسطين مجرد سلعة تنتج حين تخدم أهداف الصهيونية والزعامة الإسرائيلية، فكثير من المواقف والأنشطة الصهيونية غير اليهودية ذاتية وليست مجرد استجابات للضغوط الصهيونية أو الإسرائيلية[٢١].

مستقبل فلسطين فى مقابل ماضى أمريكا

عند النظر للتأييد الأمريكى لإسرائيل من زاوية التاريخ الطويل وتعاليم الصهيونية غير اليهودية، يتضح أن العامل الوحيد الثابت فى السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط هو تأييد الدولة اليهودية. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار مجموعة العوامل السياسية الفعالة داخل الولايات المتحدة يتضح أنه ليس هناك سبيل معقول ومنظور يمكن من خلاله حدوث تغيير فى هذه السياسة.

ومن الواضح أن المواقف الأمريكية تجاه الشرق الأوسط لا تعكس التحيز العاطفى الموالى لإسرائيل فحسب، ولكنها تظهر كذلك أن ذلك التحيز مصحوب بكراهية متغلغلة وعدم ثقة فى العرب. والعامل المشترك بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود هو تصويرهم للعرب على أنهم لا يملكون الصفات التى تروق للغربيين.

ولم تهيئ الصهيونية المجال للاستيطان الاستعمارى فى فلسطين فحسب، بل إنها جلبت معها موقفًا سلبيًا تجاه المواطنين العرب فى فلسطين. وهناك تحامل ضد العرب يعود تاريخه إلى أوائل القرن التاسع عشر، كما أن العلماء الغربيين لا يعترفون بما قدمته الحضارة الإسلامية للغرب[٢٢]. وتصور الثقافة الشعبية اليوم العرب بأنهم أوغاد العالم

والعدو الأول للحضارة الغربية وقيمها. ولا ينفصل ازدهار الصهيونية غير اليهودية عن غرس مجموعة متكاملة من الآراء والأهواء المعادية للعرب.

لقد أصبح المجتمع العربى، للأسباب التى شرحناها فى الفصول السابقة، مرادفًا للتأخر، وصور عرب فلسطين على أنهم أدنى من المهاجرين اليهود الجدد عقليًا ونفسيًا. وقد وصفت رواية «الخروج ـ Exodus» عرب فلسطين بأنهم «حثالة البشرية، ولصوص ومجرمون وقطاع طرق، ومهربو مخدرات، وتجار رقيق أبيض»[٢٣]، ورسخ الفيلم المأخوذ عن الرواية هذه الصور بالألوان الحية. والقصص الأخرى التى ظهرت حديثًا، والتى تعتبر أكثر الكتب رواجًا مثل «ملف الأوديسة ـ The Odessa File» «والقرصان ـ The Pirate» «والأحد الأسود ـ Black Sunday» تواصل تثبيت هذه الفكرة النمطية عن العالم العربى.

والمشكلة فى كثير من الحالات نابعة من الجهل أكثر منها من التحيز المكشوف، وقد تناولت دراسات عديدة الطريقة التى تتغلغل بها المواقف المعادية للعرب والمؤيدة لإسرائيل فى كتب المدارس الثانوية الأمريكية، وتواصل أحد التحليلات إلى أنه ليس بين الكتب العشرين التى تناولها ما يمتدح الشعب العربى بينما كان الكثير منها مؤيداً لإسرائيل[٢٤].

هذه المواقف التى يتشبث بها الرأى العام الأمريكى هى التى تشكل المؤشرات السياسية التى تحدد السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط؛ لأن النظام السياسى فى النهاية يشكل سياسته الخارجية تبعًا لمصالحه القومية، وسعيًا وراء مضاعفتها. وهذا ما دعا بعض الأمريكيين المعنيين إلى حث العالم العربى على سلوك الطريق غير المباشر لتغيير السياسة عن طريق تعزيز صورته داخل الولايات المتحدة.

ويمكن أن يتم هذا الأمر بنجاح لو تفهم الغرب ميوله الصهيونية. وعلى الفرد الغربى أولاً وأساسًا أن يتفحص مواقفه وميوله الموالية لإسرائيل، ويعترف بأنها نتيجة عملية تكيف اجتماعى، وتلقيح روحى استمر قرونًا، وعندها سيكتشف أنه نتيجة للصهيونية غير اليهودية التى رسخت فى شعوره مجموعة كاملة من الآراء المتحاملة على العرب وثقافتهم وديانتهم، مما أثر بشكل مباشر وغير مباشر على آرائه عن فلسطين والمشكلة الفلسطينية، والشعب الفلسطينى.

ومن حسن الطالع أن الحقائق السياسية الحالية فى الشرق الأوسط، وبخاصة فى لبنان، تتيح للمجتمع الغربى فرصة جديدة لإعادة تقييمه للصهيونية ولكل ما كانت ولا تزال ترمز له فى الشرق الأوسط. إن الفرد الغربى لا يستطيع أن ينظر إلى إسرائيل وسياساتها من خلال المنظور الصهيونى والمنظار الملون لتاريخه الأسطورى ولاهوته المؤمن بمذهب عصمة الكتاب المقدس وتفسيره الحرفى. حين احتل الجيش الإسرائيلى لبنان، نرى الحقائق تتحدث عن نفسها بشكل أوضح من ذى قبل، لقد بررت إسرائيل عدوانها على لبنان بأنه عمل من أجل «السلام» كما بررت احتلالها لأراضى الآخرين بأنه «إستراتيجية من أجل الأمن» ولكن الأحداث فى لبنان، والغارة الجوية الإسرائيلية على المنشأة النووية العراقية تجعل «سياسة أمن» إسرائيل ودلالاتها اللفظية موضع سخرية.

إن الصورة المألوفة والمقارنة التوراتية بين داود وجالوت لا يمكن أن تنطبق على إسرائيل وجيرانها العرب. لقد كانت مجرد أسطورة أخرى أوجدتها ونشرتها الصهيونية لكسب تأييد الرأى العام العالمى من أجل قضيتها الجغرافية السياسية، وهى توسيع الدولة اليهودية وترسيخها. وإسرائيل، خلال تاريخ وجودها القصير كدولة مستقلة، كانت تظهر المرة تلو المرة قوتها العسكرية، وتفوقها على جيرانها العرب. إن القوى العسكرية الإسرائيلية المتقدمة التى يرعاها حلفاؤها الغربيون بكل اهتمام هى التى تهدد جيرانها، وليس العكس وهو ما تريدنا إسرائيل أن نصدقه. إن هذه الحقيقة لم تكن واضحة للكثيرين كما هى الآن، وقد ساهمت أحداث لبنان عام ١٩٨٢م بشكل حاسم وحازم فى إزالة أسطورة أن إسرائيل هى داود الشجاع المحاط بملايين من العرب الراغبين فى الانتقام منه. ومع ذلك لم يبلغوا أن يكونوا «جالوت» بسبب انقسامهم السياسى وضعفهم، ولقد اعترف الرئيس ريجان بهذا وأكده خلال اجتماع مجلس الأمن القومى «لم تعد إسرائيل داود ولكنها جالوت»[٢٥].

علينا فى النهاية أن نعترف أن إسرائيل ليست تجسيداً للفضائل الغربية، ولكنها تتبع سياساتها المغامرة المحددة الهدف، والتى تتعارض فى الغالب مع المصالح الغربية نفسها.

* * *

هـوامش الفصل السابع

(١) الدراسات التالية تطلع القارئ على النظرية السياسية الحديثة للثقافة السياسية :
Gabriel A. Almond And G. Bingham Powell, Jr, Comparative Politics A Developmental Approach (Boston, 1966). Chapter 3, Lucian W. Pye. Introduction: Political Culture and Political Developmenta, in Lucian W. Pye and Sidney Verba (eds) Political Culture and Political Developmenta (Princeton, 1965).

(٢) Reuben Fink, Palestine and America (New York, 1945).

(٣) افتتاحية صحيفة لوس أنچلوس هيرالد إكزامنر فى ٢١ مارس ١٩٧١م بقلم ويليام راندولف هيرست .

(٤) مجلس النواب الأمريكى، الاجتماع الثانى والتسعون، الجلسة الأولى، سجل الكونجرس Congressional Record، ٢٤ مارس ١٩٧١م، ص ٣٨٠٥ .

(٥) Moshe Davis America and the Holy Land, op. cit, p.5.

(٦) John Haynes Holmes, Palestine, Today and Tomorrow (London 1930), pp. 89, 248.

(٧) كما وردت فى Louis W. Koenig (ed), The Truman Administration: Its Principles and Practice (New York, 1956), pp. 4 - 232.

(٨) «جيروزاليم پوست»، مارس ١٩٧٩م.

(٩) تمسك كلارك كليفورد بهذه الفكرة فى توصياته حول سياسة أمريكية تجاه فلسطين عام ١٩٤٧م، انظر أوراق كلارك كليفورد، مكتبة ترومان، صندوق ١٤ .

(١٠) «همفرى، صديق إسرائيل» جيروزاليم پوست، ١٥ يناير ١٩٧٨م، ص٤ .

(١١) خطاب ألقاه السناتور فرانك تشرش ـ Frank Church من إيداهو فى ٢٥ أبريل ١٩٧٧م وطبع فى (Near East Record (Washington)، مجلد ٢١، رقم ١٩، ١١ مايو ١٩٧٧، ص ٧٤ .

(١٢) خطاب السناتور فولبرايت J. W. Fulbright مجلس النواب الأمريكى، الجلسة الحادية والتسعون، الجلسة الثانية، سجل الكونجرس Congressional Record، أغسطس ١٩٧٠م ص ١٤٠٢٢ ـ ١٤٠٣٩

انظر كذلك Michael Novak, The Moral Meaning of Israel Commonwealth, 14th March 1975.

(١٣) تقرير الشرق الأوسط، مجلد ٢١، رقم ٢٠، ١٨ مايو ١٩٧٧م، ص ٧٨ .

(١٤) خطاب ألقاه الرئيس چيمى كارتر فى ١ مايو ١٩٧٨م، نشرة وزارة الخارجية مجلد ٧٨، عدد ٢٠١٥، ص ٤ .

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) انظر الدراسات التالية:

Mary A. Barberis the Arab - Isreli Battle on Capitol Hill, The Virginia Quarterly Review, Vol 52, No 1, 1976, pp. 23 - 203, David Garnhm, Factors Infleuncing Congeressional Support for Israel during the 93rd Congress, The Jerusalem Journal of International Relations, Vol. 2, No. 3, 1977, pp. 23 - 45, Robert H. Trice, Congress and the Arab - Israeli Conflict: Support for Israel in the U. S. Senate, 1970 - 1973, Political Science Quarterly, Vol. 92, No. 3, 1977, pp. 63 - 443, Marvin C. Feuerwerger Congress and the Middle East, Middle East Review, Winter, 1977/ 1978. pp/ 6 - 43.

(١٨) Trice، المصدر السابق، ص ٤٦٣.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) Aaron Wildavsky, What's In It For Us? America's National Interest in Israel, Middle East Review, Vol. 10, No. 1, Fall 1977, pp/ 12 - 13.

(٢١) Samuel Halperin, The Political World of American Ziomism (Detroit 1961), p. 187.

(٢٢) يعتبر كتاب إدوارد سعيد Orientalism (New York, 1978) واحداً من أكثر الدراسات شمولية لأسلوب الغرب المتحيز والمتحامل على الحضارة العربية الإسلامية، انظر كذلك كتاب فيليب حتى Islam and the West (Princeton, 1962).

(٢٣) لجنة صورة الشرق الأوسط، صورة الشرق الأوسط فى كتب المدارس الثانوية (نيويورك، ١٩٧٥م)، ص ٢٥.

Committee on Image of the Middle East, The Image of the Middle East in Secondary Texbooks (New York, 1975), p. 25.

(٢٤) انظر المصدر السابق عن لجنة الشرق الأوسط وكذلك كتاب إياد القزاز وروث أفيو وغيرهما The Arabs in Amarican Textbooks (Garden City 1975)

(٢٥) النيوزويك، عدد ٤٠، ٤ أكتوبر ١٩٨٢م، ص ٨.

* * *